بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين. بمناسبة وفاة سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله، أحاول أن أتحدث[1] بما أرجو أن ينفعنا جميعا إن شاء الله

ننطلق من أنفسنا، نحن نحب رسول الله (ص) بشكل عام، نصلّي عليه نشهد بنبوته، كذلك نحن نتقرب إلى الله عز وجل، أنت مثلا تتقرب إلى الله لا فقط تصلي بل تسعى لأن تحصل على ثواب أكثر وتتقرب إلى الله أكثر فتحضر المسجد مثلا وتصلي جماعة، ولكن هنالك شيء نحن نفتقده، أنا لا أريد أن أبيّن لك ذلك الشيء، أساسا ليس قابلا للبيان، يحتاج إلى تهيؤ خاص، إنما أريد أن أذكّرك به فقط، وأعتقد – أنت تحب رسول الله (ص) وتصلي عليه وتتقرب إلى الله – إذا انتبهت إلى ذلك الشيء وسعيت إليه فسوف تُصبح من أتباع رسول الله (ص) وأنصاره، إن شاء الله أحاول أن أتحدث، اصغ لي، إن شاء الله أنا لا أضرك، فأنت حر، تعرف، تتعقل، فأنا أنبهك وأذكّرك فقط وأعتقد بأنني إذا ذكّرتك تتذكّر ونفسك تعرفه

توفي رسول الله (ص) بعد حوالي ثلاث وعشرين سنة من بعثته، بقي ثلاث عشرة سنة في مكة وعشرة سنوات في المدينة، في المدينة أَنتج مجتمعا له خصائصه الواضحة، أنا فقط أشير إلى بعضها وأعتقد بأنك إذا انتبهت لهذه الخصائص كذلك تحبها، قبل ذلك، لأن تكون حركتنا حركة واقعية أكثر ننطلق من واقعنا، أنت تشتهي وضعا، على الأكثر الإنسان يشتهي نتاجات العالم، المحللة بطبيعة الحال، فأنت تشتهي هذا الوضع وهذا العالم، لكن أنا أعتقد بأنك إذا انتبهت وراجعت نفسك، باعتبارك متدينا تتقرب إلى الله أنّ هذا العالم أنت لا تتبناه، والدليل على ذلك نفترض لو كان هذا العالم بيدك أنت– على الرغم من أنك أنت تشتهيه– لكن أنت لا تفعله، لأنك لا ترتضي هذا العالم كدين، كحركة، كعقيدة، كهدف، أنا أتكلم مع هذه الحالة الموجودة في نفسك، مازلت تعرف الحق، هنالك ناس لا يعرفون الحق، القدرة على معرفة الحق افتقدوها (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ

[1] تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله يوم ٢٨ صفر ١٤٢١هـ / ٢-٦-٢٠٠٠ م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[1]، الإنسان –والعياذ بالله– يصل إلى مرحلة النفس تنغلق على أشياء معينة، بعد ذلك لا تستطيع أن تعرف أي شيء، أنا أتكلم مع نفسك

حينما بُعث رسول الله (ص) كان هنالك حضارة مدنية قائمة متجسدة في أنماط مختلفة من الحياة المشتهاة، (بُصرى)، هذه المنطقة كانت عامرة، بعض الآثار التي يعرضونها بعض الأحيان في التلفزيونات تجد عمائر، قصور، مسارح، ميادين، ملاعب مُبهرة وأمثال ذلك، معناه أنه هنالك تطور هائل كان موجودا في ذلك الحين، مسجد (آيا صوفيا)، هذا المسجد كان موجودا باسم الكنيسة في ذلك الحين، فهذا يعكس تطورا مدنيا هائلا، المدائن قبر سلمان هناك، آثار أيوان كسرى مازالت موجودة، هارون حاول أن يهدم هذه الآثار لم يستطع، هذه الآثار مُبهرة تدل على تطور هائل في الحضارة، الفن، الطب، كانت جنديشابور مدينة طبية في ذلك الحين، بعض الحالات حينما الإنسان يقرؤها في التاريخ يجد أنهم كانوا متطورين جدا في الطب، الأقمشة، البناء، الفن، الأطعمة وأنواع ذلك، هذه الأشياء كانت تصل إلى الجزيرة، مثل هؤلاء كانوا يسافرون من الجزيرة بشكل مستمر إلى بُصرى، هذه المنطقة التي كانت تمثل تطورا حضاريا هائلا، فإذن كان هنالك عالم متحضر متمدن، فلسفات، أفكار، حضارة تطور عمراني هائل

في هذا الوقت بُعث رسول الله (ص) في منطقة حسب الظاهر متخلفة جدا، ربما أكثر المناطق تخلفا بلحاظ الحضارة، هناك عالم متحضر موجود، عالم متدين موجود كذلك، آسيا الوسطى بيزنطة كانت تحكمه امبراطورية نصرانية لكن متطورة جدا، وكذلك إيران في ذلك الحين كانت تدعي أنها هي تتبع زرادشت، فكانت متدينة، واليهودية كذلك كانت موجودة –الآن قارن هذه القضية بنفسك– أنت لو كنت في ذلك الحين، تلك القضايا والأحداث، تلك العمائر المبهرة، ذلك النمط من الحياة، تلك الأطعمة، الشوارع الفسيحة، الميادين وأشياء أخرى كثيرة، كل هذه القصص كانت تُنقل، طبيب اسمه نضر بن كلده، تصدى لرسول الله (ص) أتى بكتاب يقص أساطير، أنت لو كنت في ذلك الحين كيف كان وضعك ؟ كانت أمنيتك أن تعيش مثلهم، شخص من كبار قريش ثري جدا، ذاق الفالوذج، الفالوذج من مكوناته الرئيسية الثلج فاستورد الثلج من الشام، وكذلك السكر،

[1] (سورة المطففين: ١٤)

فصنع الفالوذج حتى يظهر للناس النعمة التي كان العالم المتحضر آنذاك يتنعم بها، اجعل نفسك في هذا الوضع، نيتك كيف تكون؟

أيها العزيز أنت الموجود الوحيد –المعروف في هذا العالم– الذي تستطيع أن تنوي أكثر من واقعك، الحيوان لا يستطيع أن ينوي، الحيوان فقط يعيش في إطار واقعه، يعني مثلا الخروف حينما يُعطى له علف هذا لا يتصور علفا أفضل من هذا، فقط يتعامل مع العلف الموجود، أنت مجرب هذا، أنت الآن تمارس هذه الحالة، هذه النية، أنت تعيش عالما أوسع من واقعك بنيّتك، أنت تعيش في بيت وتستطيع بنيّتك أن تعيش في بيت مختلف عن هذا البيت، تأكل طعاما بنيّتك، تأكل طعاما مختلفا عن هذا الطعام، الله ابتلاك، زودك بهذه النعمة وحمّلك المسؤولية أنك تستطيع أن تنوي شيئا غير موجود ولهذا تستطيع أن تغيّر، الحيوان لا يستطيع أن يغيّر وضعه، الإنسان يستطيع أن يغيّر وضعه

النية موجودة لكل إنسان، أي إنسان لا يرتضي وضعه يصنع لنفسه عالما آخر يرتضيه بنيّته، بأمنيته، هناك ذلك الإنسان الجاهلي، تفكّر أنت ماذا كان ينوي؟ حياته صعبة تقشف مفروض عليه، كان غاية ما ينويه هو أن يعيش مثل ذلك الشخص الذي مثلا رآه في (بُصرى)، أو نُقلت له حياته، كان يتمنى، وكان الذين لا يستطيعون أن يسافروا كانوا يتمنون يا ليتهم سافروا إلى بيزنطة، أو إلى المدائن حيث عاصمة الساسانيين، أو إلى مصر أو اليمن أو الحبشة أو إلى أماكن أخرى، ثم ينقلون أحداثا لغيرهم، هذه أمنيتهم، فالأمنية هي أمنية لها نطاق معين وفي مسار معين

النبي (ص) بُعث في نطاق النيات لأجل تغيير الناس، النبي لم يصنع معجزة لتغيير الناس، صنع معاجز لفتح الطريق، للتبصير، لكسر الأصنام، لكسر العقبات، أما تغيير الإنسان (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[1] هنالك ماذا حصل؟ ذلك الإنسان الحافي الذي كان يعيش تلك الأمنية تلك النية وأنت تدري أن الله يحاسب الإنسان بنيّته، أنت قطعا تختلف عن شخص آخر فكيف تُصبح أخاه؟ إذا نيّتك كانت مثل نيّته (عن جابر بن عبدالله الأنصاري حينما زار الإمام الحسين (ع) يُنقل في كربلاء بعد ذلك قال: أشهد لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه –بعد ذلك حينما

[1] (سورة الرعد: ١١)

سأله عطية– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم شاركهم في عملهم، أشهد أن نيتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه)[1]

هدفي هو أن أعينك، أساعدك وأنبهك إلى أنك تستطيع أن تنوي الآن كما كان ينوي رسول الله (ص)، أنت بحاجة إلى معرفة سُنة رسول الله (ص)، أنت تحب النبي(ص)، تحب التقرب إلى الله، لكن أنت بحاجة إلى معرفة سُنة النبي، نتيجة سُنة النبي كذلك أنت تحبها، أنا أقول لك جمّد شهوتك، نفسك تحن إلى الوضع الذي حصل، وُجد مجتمع في مقابل المجتمعات الأخرى، هذا المجتمع بلحاظ مُتع الحياة لم يكن يتوفر فيه حتى أساسيات العيش، لكن أصبحوا أناسا كبارا بنياتهم، ذلك الشخص الجائع قبل ذلك، كان غاية ما يجد في نفسه أن يجد طعاما لذيذا وأن هذا الطعام يوميا يتنوع أكثر حتى هو يلتذ أكثر، لكن هذا الإنسان الجائع في عهد رسول الله (ص) نيّته تغيرت، أمنيته تغيرت

أيها العزيز انتبه، لا ترض بوضعك، هذا الوضع يجب أن يتغير، أنت تغير وضعك دائما، هذا التغير يجب أن يكون وفق سُنة رسول الله، وفق إمامة رسول الله وإمامة الأئمة عليهم السلام هذا هو المطلوب، هذا أنت تستطيع أن تفعله، أنت تمارس التغيير يوميا ولحظيا، بنيتك تمارس التغيير تتنقل من هنا إلى هنا، تغير المكان، تغير الزمان، تغير الحياة، أنت تفعل هذا الشيء، هذا يجب أن يصبح هادفا هذه الإمكانية موجودة فيك، إذا عرفت سُنة رسول الله (ص) فنيّتك تصبح نية مهتدية

النية كيف حصلت؟ ذلك المجتمع كان يختلف تماما عن المجتمعات الأخرى، ذلك المجتمع أصبح خطرا على العالم، لمَ؟ بعتاده وبإمكانياته المالية؟ لا، وإنما بالنفوس، بالنيات التي تحررت، هؤلاء الذين كانوا قبل مدة يتمنون يا ليت أن طعاما لذيذا يحصلون عليه، موقعا يحصلون عليه، الآن أصبحوا يتمنون الشهادة في سبيل الله، الشهادة ماذا تعني؟ يعني ذلك الإنسان الحافي كان نيته همته أمنيته أن يُقتل في سبيل الله، يُقتل أولاده يؤخذ منه كل شيء حتى يحضر في طريقك أنت، حتى يحضر في نفسك ويُعينك في أن تنوي كما كان ينوي، ويُعينك لتنصر دين الله عز وجل، يحضر في نفسك أنت وفي طريقك لتكون مع رسول الله(ص)

[1] بحار الأنوار (١٣١/٦٥) نقلا عن بشارة المصطفى

أرجع مرة ثانية، أنت تحب النبي (ص) وتحب الأئمة عليهم السلام وهذا من نعم الله عليك أنك أنت رُبيت على هذا الحب، إنك كذلك في قرارة نفسك تحب ذلك المجتمع الذي أوجده رسول الله (ص)، هنالك إنسانان، إنسان يعيش الترف بكل أبعاده، الحضارة المتطورة في بيزنطة أو في فارس ويملك كثير من الأشياء، بشهوتك قد تحب أن تكون مثله في ذلك الحين، والأمور لم تتغير الآن كذلك، لكن لو عرفت ذلك الإنسان الذي لا يملك من الدنيا شيئا، لكن يملك نيّة عزيزة وعظيمة، قطعا أنت في قرارة نفسك تميل إلى هذا، شهوتك هي التي تمنعك، أنت تستطيع أن تتغلب على شهوتك، حتى إذا شهوتك بقيت أنت تستطيع أن تكون مع هذا النمط من الناس، فكّر تعقل (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)[1]، وفي بعض الروايات (من عبادة سنة)[2]

الآن أنت حينما تشعر بعزّ الدين، بدرجة قطعا تشعر، حينما ترى العالم لا تتأثر به بحيث تتنازل تماما عن شخصيتك، هذا كيف حصل؟ نتيجة جهاد هؤلاء الذين لم يختلفوا عنك أبدا، أنت مثلهم تستطيع أن تنوي تكون مثلهم بنيتك، بهمتك، بقرارك، بأمنيتك، تتمنى الكون مع رسول الله (ص) إذا عرفت سُنته، تلك السُنة التي أوجدت ذلك التحرر للنفوس، هذه السُنة أنت بحاجة إلى معرفتها وإذا عرفت هذه السُنة سوف تحن إليها، الشيطان يمنعك، يُغفلك، يُبعدك عن سُنة رسول الله (ص) وتبقى نيتك تائهة، أنت تصلي، تكبر الله، تصلي على رسول الله، لكن نيتك تائهة، نيتك ليست في اتجاه نيّة أئمتك، الإنسان يأتم بإمامه بنيته، والعياذ بالله نيات الناس تكون في اتجاه إمامة الدنيا يرغبون في هذا، يريدون هذا يدفعون في هذا الاتجاه، لا تكن هكذا

اليوم مناسبة وفاة النبي (ص)، بوفاة النبي (ص) الدين لم ينته، والدليل على ذلك أننا نحن نصلي على رسول الله (ص)، وهذه الصلاة نسعى أن نجعلها صلاة حقيقية، دعاءا حقيقيا، يعني واقعا نريد النبي (ص)، واقعا نرغب إليه، نذكره ونحبه، هذا الحب الموجود لا يكفي الآن، إذن هذه المناسبة استفد منها لمراجعة نفسك أيها العزيز، هذه الدنيا تنتهي، قرر من الآن أن نيّتك تملكها، العالم الخارجي لا تملكه قد لا تستطيع أن تعمل شيئا فالإنسان يقول أنا ليس بيدي شيء، لا ، نيّتك بيدك أمنيتك بيدك، حاول أن تكون نيتك كنيّة أصحاب رسول الله (ص) ثم أنت بحاجة إلى معرفة

---

١ الكافي (٢/٥٤)

٢ بحار الأنوار (٦٨/٣٢٧) نقلا عن العياشي

سُنة رسول الله (ص)، هذه السُنة تعرفها وتسعى إليها، ولمعرفتها أنت بحاجة إلى إمام يقودك في هذا الاتجاه، إذا أنت نويت دربا، نويت طريقا، هنالك بحاجة إلى أئمة يجسدون هذا الدرب ويقودونك في هذا الطريق، من نعم الله علينا أننا رُبينا أن هنالك أئمة عاشوا حاضرين شتى أنواع الحياة التي عاشها الناس مدة قرنين ونصف من الزمان، هؤلاء بيّنوا الطريق وجسدوا الحق فليس عليك إلا القرار، فإذا قررت أن تكون مع رسول الله بنيتك، لا تفكر في الخارج أنا الآن ماذا أفعل؟ فقط نيتك، تذكر رسول الله فيها، تذكر أمير المؤمنين (ع)، تذكر الأئمة (ع)، تذكر أصحاب رسول الله فيها، تذكر عمارا تذكر سلمان، هنالك بالتدريج نيتك تنتظم، تتجه، تهتدي، وإذا أنت في قرارة نفسك تعرف بأنك أنت أصبحت مع النبي (ص)

أذكر لك مقطعا يُنقل من كلام لأمير المؤمنين (ع) حينما دفن فاطمة (ع)، أنتم تعلمون بأن أمير المؤمنين (ع) دفن فاطمة وحده، وهو الذي حفر قبرها وهو الذي وضعها في قبرها وهو الذي عزى نفسه، هنا يُنقل أنه اتجه إلى قبر رسول الله (ص)، حجرة رسول الله التي دُفن فيها، هذه الحجرة كانت ملتصقة ببيت فاطمة (ع) فربما وضع رأسه على جدار هذه الحجرة فخاطب رسول الله (ص) –تصور ذلك الوضع، هذا إمامك أنت، كُن معه، كم عانوا؟ كم جاهدوا؟ استضفهم في قلبك، تقوّى بهم، اعتز بهم، أعزّهم، وانصرهم وانتصر بهم، هذه الإمكانية موجودة فيك، لا تُضعف نفسك، لا تذل نفسك، لا تتضاعف، لا تفكر بأنه أنا ضعيف، أنت بإمكانك أن تكون كذلك– السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عنها تجلدي، إلا أنّ في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ فلقد وسدتك في ملحودة قبرك –تصور أنّ يد أمير المؤمنين (ع) تضع جسد رسول الله (ص) في القبر، ساعد الله قلبك يا أمير المؤمنين– وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإنا لله وإنا إليه راجعون)[1]، السلام عليك يا رسول الله، نحن معك يا رسول الله، قررنا أن نكون معك نُخرج أنفسنا من هذا الظلم، نريد أن نكون معك، اشفع لنا يا رسول الله في هذه الدنيا عزّ كعز أصحابك وفي الآخرة حشرا كحشر أصحابك الصالحين، والحمد لله رب العالمين

[1] نهج البلاغة (خطبة ٢٠٢)